

جمال الدين الأفغاني وفكرة تأسيس الجامعة الإسلامية

(1254 - 1313 هـ / 1838 - 1897 م)

د. عبدالحكيم صالح غيث أحمد

جامعة مصراتة/ كلية الآداب

a.saleh@art.misuratau.edu.hy

ملخص البحث

يتناول هذا البحث رجلاً عربياً هو السيد جمال الدين الأفغاني الذي ولد ونشأ في إحدى القرى الأفغانية (أسد أباد)؛ حيث كانت له العديد من الأفكار والآراء الإصلاحية التي دعا إليها المسلمين والتي من أهمها الجامعة الإسلامية وقد قسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: جمال الدين الأفغاني (1254 هـ - 1838 م - 1313 هـ - 1897 م)

وتحدثنا من خلاله من مولده ونشأته ومن حياته وأهم الرحلات والأعمال التي وقفت في طريقها.

المحور الثاني: الجامعة الإسلامية وتناولنا من خلاله بداية ظهور فكرة الجامعة الإسلامية

وتبنى السلطان عبد الحميد لها ومدى النجاح الذي تحققت والصعوبات التي وقفت في طريقها.

المحور الثالث: أفكار جمال الدين الأفغاني وتطرقنا فيه إلى دور جمال الدين وموقفه من

الجامعة الإسلامية وصدور جريدة العروة الوثقى والهدف منها؛ ثم أهم الدعوات التي نادي بها الشيخ في الجانبين الديني والسياسي.

أما الخاتمة فتناولت أهم النتائج التي توصلنا لها من خلال هذا البحث.

Abstract

This research deals with an Arab thinker denominated Jamaladdin Al – Afghani, who was born in one in one of Afghani villages (Asadabad). He adopted several reformatory ideas and opinions which muslims called for, the most important of which was the notion of the Islamic league.

Chapter (1): Jamaladdin Al – Afghani (1254 Pl – 1838 / 1313 Pl – 1897)

This chapter tackles his birth, grow – up, life and the most significant trips and business he carried out.

Chapter (2): The Islamic League:

This chapter tackles the emergence of the notion of the Islamic League, its adoption by Sultan Abdul Hamid, Success realized and difficulties encountered it.

Chapter (3): Ideas of Jamaladdin Al – Afghani:

This chapter deals with the role played by Jamaladdin Al – Afghani, his attitude towards the Islamic league, issuance of Al – Orwa Al – Wothga Newspaper and its objective in addition to the most important calls made by the Sheikh in both religious and political aspects.

The conclusion enumerates the most significant findings reached through this research.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق

أجمعين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين

نتناول من خلال هذا البحث رجالاً عريقاً من أهالي الحرمين، حنطي اللون، ممتلى الجسم، قوي البنية، صلب الإرادة، قوي الشخصية، عظيم الحجة، متوقد الذكاء، فضلاً على أنه منارة الحرية في كل مكان حل به، ورسولاً من رسل الفكر المجدد الثائر، وقنصلاً عنيداً لا يلين ولا يهاب الموت، وخطيباً مصقلاً لم يقم في الشرق خلال عهده من هو أخطب منه، ألا هو السيد جمال الدين الأفغاني، الذي ولد ونشأ في إحدى القرى الأفغانية (أسعد أباد)؛ حيث كانت له العديد من الأفكار والآراء الإصلاحية التي دعا إليها المسلمين، والتي من أهمها (الجامعة

الإسلامية) التي رأى من خلالها إمكانية توحيد المسلمين تحت راية واحدة، وبإمكانهم القضاء على الاستبداد الذي انتشر بين العرب عن طريق الاستعمار البغيض، محاولاً من خلال هذه الفكرة توضيح الخطر المحدق بهم وضرورة القضاء عليه إلا أنه يسعى إلى طمس الهوية العربية والقضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية.

وترجع أهمية هذا الموضوع لما يمثله من أهمية في التاريخ العربي في القرن العشرين وخاصة من الناحية الفكرية التي يسعى الاستعمار إلى طمسها ولكونه يمثل مرحلة مهمة استطاعت النهوض بالفكر العربي وتوعيته عن طريق الأفكار النيرة التي ظهرت لدى العديد من المفكرين العرب القوميين والدينيين وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني صاحب فكرة الجامعة الإسلامية.

والهدف من هذه الدراسة (الإشكالية) فهي:

أين ولد جمال الدين الأفغاني؟ وكيف عاش حياته في هذه الفترة؟ وكيف جاءت فكرة الجامعة الإسلامية وهدفها؟ وما هو موقف السلطان العثماني عبد الحميد منها؟ وأين نشأت جريدة العروة الوثقى؟ وهل حققت أهدافها؟ وما هي الصعاب التي واجهتها؟ وما هي أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح هذه الفكرة في البداية؟ وما هي العقبات التي وقفت في طريقها؟ وما هو موقف جمال الدين من الجامعة ودوره فيها؟ وما هي أهم الدعوات الإصلاحية (الدينية - السياسية) التي تنادي بها.

اعتمدت في كتابة بحثي هذا على المنهج التاريخي السردى التحليلي الذي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية وتحليلها من أجل الوصول إلى نتائج هذه الأحداث.

هذا وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة - تمهيد - ثلاثة محاور - خاتمة.

المقدمة تناولت من خلالها الشروط العلمية التي يجب أن تدرس من خلالها وهي: "نبذة عن الموضوع - أهمية الموضوع أسباب الاختيار - المنهج المتبع - خطة البحث".

أما المحاور فتناولت من خلالها الآتي:

المحور الأول: جمال الدين الأفغاني (1254هـ / 1838م / 1313هـ / 1897م)

وستتناول من خلاله مولده ونشأته، ثم تناولت حياته وأهم الرحلات والأعمال التي قام بها.

المحور الثاني: الجامعة الإسلامية سنتحدث من خلاله بداية ظهور فكرة الجامعة الإسلامية - تبني السلطان عبدالحميد لها، ومدى النجاح الذي تحقق والصعوبات التي وقفت في طريق الجامعة الإسلامية.

المحور الثالث: أفكار جمال الدين الأفغاني سنتناول من خلالها دور جمال الدين وموقفه من الجامعة الإسلامية - صدور جريدة العروة الوثقى والهدف منها، ثم أهم الدعوات التي نادى بها الشيخ في الجانبين الديني والسياسي.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث تتمثل في قلة المصادر والمراجع التي تتناول الجامعة الإسلامية والإصلاحات التي تنادي بها جمال الدين الأفغاني، أما فيما يخص المولد والنشأة فهناك اختلاف في بعض المناطق التي زارها كذلك تحليل بعض الكتاب لها بطرق مختلفة.

المحور الأول

جمال الدين الأفغاني (1254 هـ / 1838 م - 1313 هـ / 1897 م)

أولاً: المولد والنشأة:-

ولد جمال الدين الأفغاني في عام 1254 هـ / 1838 م في إحدى القرى الأفغانية وهي قرية (أسد آباد) والتي تبعد عن (كابل) بحوالي 250 كيلومتر، وتطبع أهل هذه القرية كغيرها من القرى الأفغانية بطابع البيئة الجبلية الوعرة، فهناك صعوبة الحياة، فلا يصل الإنسان إلى شيء إلا بعد مشقة تحتاج إلى صبر، وعاش الناس في هذه القرى على الأنفة والعزة، رؤوسهم مرفوعة وقلوبهم صلبة لا تهزها الرياح العاصفة، وأفكارهم صافية كالسما. (الزريبي، 1986م، ص

175)

ومنذ أن وصل الإسلام إلى هذه المناطق كان لها قيس دائم من نور القرآن ونور السنة المحمدية وحمل أهلها الرسالة في إيمان عميق وكان فيهم أعلام من علماء، ومنهم (جمال الدين الأفغاني)، الذي عاشت أسرته في قرية (أسد آباد) وهي أسرة شريفة النسب عالية القدر مرفوعة الكرامة، وبلغت عشيرته المنزلة العليا في قلوب الأفغانيين حرمة نسبها. (عربي، 1977م، ص 122).

بدأ جمال الدين الأفغاني تعليمه حين بلغ سن الخامسة من عمره في مدرسة محلية بقريته

وبقى بها إلى أن بلغ العاشرة، ثم انتقل إلى كابول، واستكمل في مدارسها تلقي مبادئ العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة، وانتهى من تعلم هذه العلوم وهو الثامنة عشر من عمره ثم تعلم اللغات العربية والأفغانية والفارسية والتركية. (قلعجي، 1952م، ص 22)

وقد نشأ الأفغاني من عشيرة كبيرة لها سلطان تعزز به، وهؤلاء الأشراف الحقيقيون لهم ميراث من العلم أيضاً، فهم يسعون دائماً إلى العلم سعياً حثيثاً ويرون في استكمال الشرف عندهم معرفة القرآن والسنة، ففي هذا الجو الذي يحيط به الشرف ولد السيد جمال الدين الأفغاني وترعرع، ولم تصل اهتماماته إلى تسجيل هذه المرحلة من حياته، فهو لا يهتم بكشف بيته الذي نشأ فيه لأنه لا قيمة لفراش ولد عليه، أو طعام قدم له، بل القيمة كلها في أنه حفيد الحسين بن علي وجدته فاطمة بنت رسول الله - ﷺ -. (كمال، 1974م، ص 19)

وهكذا تكونت البذور الأولى لشخصية جمال الدين داخل هذه البيئة الأفغانية المسلمة، فنشأ طفلاً من أبناء عشيرة ذات سلطان وذات شرف، وفتح عينيه منذ ولادته على رجال أشداء شرفاء لهم سلطان على عامة الناس بحكم انتسابهم إلى الرسول - ﷺ -. (قلعجي، المصدر السابق، ص 23)

ولقد حفظ جمال الدين القرآن وحفظ كثيراً من أحاديث الرسول - ﷺ - في طفولته وتلقي العلوم العربية على يد مجموعة من الشيوخ في كلٍّ من (أسد آباد - كابول). (كمال، المصدر السابق، ص 19)

ثانياً: حياته:-

استطاع جمال الدين أن يتلقى قدراً كبيراً من العلم في سنوات صباه، فامتاز بالذكاء النادر، وبين الخامسة والثامنة عشر من عمره استطاع تحصيل قدر كبير من العلوم وعرض له أن سافر إلى بلاد الهند وهي أول رحلة له يخرج فيها من بلاده، وأقام خلال هذه الرحلة في الهند حوالي عاماً ونصف العام اطلع من خلالها على العديد من العلوم الرياضية الأوروبية الحديثة، وكان لهذه الرحلة الأثر الكبير في أفكاره. (المصدر نفسه، ص 25)

وشهد خلالها الاستعمار على حقيقة وإدراك كيف يستعبد ملايين البشر في شبه القارة الهندية استعباداً لم ير له مثيل حتى في زمن الرومان وبالتالي توصل إلى فكرة إقامة الجامعة الإسلامية. (فخري، 1982م، ص 245)

وبعد خروجه من الهند سافر إلى العديد من الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره إليها نحو سنة وهو يتنقل من بلد إلى آخر حتى وصل إلى مكة المكرمة وكان ذلك في سنة 1273هـ - 1856م وقد عاش الأفغاني المتصوف عيشة الفقراء منذ البداية على طريقة أعلام أهل الطرق الصوفية الذين يتفانون في ذات الإلهية وينطلقون غير هيابين إلى أية بقعة من بقاع الأرض. (أبورية، 1966م، ص 47)

وعند وصوله إلى مكة رأى شعوب الإسلام في بيت الله الحرام، حول الكعبة وطاف حولها مع ألوف المسلمين؛ فكانت رحلته من الهند إلى الحجاز رحلة مباركة زادته إيماناً فوق إيمانه، وملاأت قلبه وعقله بروح الإسلام، كما استطاع من خلال هذه الرحلة أن يطلع على بعض الحقائق التي زادت من معلوماته التي كان يحملها اتجاهها، كما زادت من كرهه للاستعمار البغيض، وبعد انتهاء هذه الرحلة عاد إلى بلاده ملئ العقل بالحكمة، مفعم القلب بالإيمان، قوي الجسد للنضال، فدخل في سلك رجال الحكومة، فرأى خلال هذه الفترة ما يعانيه الشعب من الاستبداد من قبل الحكام، وحدثت العديد من الفتن، فدفعه هذا إلى مغادرة أفغانستان، فستأذن للحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد إيران حتى لا يلتقي فيها "محمد أعظم". (عربي، المرجع السابق، ص 122)

رحل السيد جمال الدين عن طريق الهند سنة 1285هـ وعند وصوله إلى النخوم الهندية تلقتته حكومة الهند بحفاوة وإجلال إلا أنها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها ولم تأذن للعلماء مقابلته إلا على عين من رجالها، فلم يبق بها أكثر من شهر، فرحل بعد ذلك مع المراكب الهندية إلى السويس، فحاء إلى مصر وأقام بها نحو أربعين يوماً تردد فيها على الجامع الأزهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا إليه وسألوه أن يشرح لهم كتاب الإظهار، بعد ذلك تحول عن عزمه وعجل بالسفر إلى الأستانة. (عربي، المرجع السابق، ص 250)

ويذكر بعض المؤرخين وعلى رأسهم الشيخ "محمد عبده" أن الفترة التي رحل فيها الشيخ جمال الدين من مصر إلى الأستانة هي فترة "السلطان عبدالعزيز خان"، وبعد أيام من وصوله، أمكنه ملاقاته الصدر الأعظم "غالي باشا" ونزل منه منزلة الكرامة، فعلى ذكره بين عامة الناس بما فيهم الأمراء والوزراء وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وأدبه، وبعد ستة أشهر عين عضواً في مجلس المعارف واقترح في المجلس اقتراحات لتعميم المعارف مما أثار حفيظة شيخ الإسلام "حسن فهمي أفندي" عليه، وفي شهر رمضان عام 1287هـ، طلب مدير دار الفنون "تحسين أفندي" منه أن يلقي خطاباً للحث على الصناعات، فاعتذر جمال الدين بسبب ضعفه في اللغة التركية، وبعد الإلحاح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل إلقاءه وعرضه على وزير المعارف، ومدير الأمن العام فاستحسنه كل منهم، وعند تعيين موعد إلقاء هذا الخطاب، سارع الناس إلى دار الفنون كما حضر معظم الوزراء وأعيان أهل العلم والصحفيين، كما حضر شيخ الإسلام الذي أخذ يبحث عن نقطة يحارب بها السيد جمال الدين الأفغاني، في أعقاب هذه المحاضرة أشاع شيخ الإسلام أن الشيخ زعم أن النبوة صناعة، مما أثار فتنة بين الطرفين بدأت تتحدث عنها الصحف مثل "الأستانة" ونشرت مقالات عن الموضوع بعضها يؤيد جمال الدين وبعضها يؤيد شيخ الإسلام. (أمين، 1979م، ص

(75

وأشار عليه بعض أصدقائه التزام السكون، ونصحوه بالإغضاء عن طلب محاكمة شيخ الإسلام، ولقد كانت قوة جمال الدين من الدوافع التي جلبت إليه المتاعب عند أعدائه ومنكري فضله، ولم تستطع دولة الخلافة الإسلامية أن تحكم في موضوع الاتهام بل اتخذت هذه الوسيلة الحكومية وأبعدته عن الأستانة فاتجه إلى مصر بناء على مشورة بعض مريديه، فانفتح أمام الشرق باب الحكمة، وأراد الله لرسالته الذبوع والانتشار في القاهرة، وكأنه بذرة طيبة لم تجد أرضاً للتفتح وتنمو فيها أطيب من الأرض العربية. (البشري وآخرون، 1988م، ص 161)

وصل الأفغاني إلى مصر سنة 1288هـ - 23 مارس 1871م، ويقول بعض مؤرخيه لم تكن له عزيمة في الإقامة في مصر بل كان ينوي الرحيل إلى مكة المكرمة ولكنه بقى في مصر بعد أن ارتاح فيها، ووجد فيها المركز الذي من الممكن أن يرمي أفكاره، فالتقى في القاهرة مع

رئيس الوزراء "رياض باشا" في عهد إسماعيل، فكان لهذا الرجل رغبة في الإصلاح على طريقته، فألقى الضرب بالسياط ورفع هذا الظلم عن كاهل الشعب، وكان "رياض باشا" تعرف على الأفغاني قبل مجيئه إلى مصر في الأستانة وأعجب به، واتخذ السيد بيتاً له في خان الخليلي بالقرب من حارة اليهود، وكان عبارة عن بيت متواضع، أصبح منتدى العلماء والأدباء ومحط رحال للطلبة. (أمين، المرجع السابق، ص 76)

كان من عادة الشيخ قضاء نهاره في داره حتى إذا جن الليل خرج إلى قهوة البوسطة بميدان العتبة الخضراء على مقربة من حديقة الأزبكية، وكان مجلسه في ذلك المقهى على هيئة نصف دائرة تضم اللغوي والشاعر والطبيب والمؤرخ المهندس وغيرهم من صفوة المثقفين في مصر. (قلعجي، المصدر السابق، ص 25)

وكان هؤلاء يلقون عليه أدق المسائل فيحل عقدها ورموزها بلسان عربي مبين، فكان يدهش السامعين، ويظل في المقهى إلى منتصف الليل بعدها يعود إلى داره، ويقول "أديب اسحق" إنه صارت للأفغاني حلقة تدريس في منزله يحضرها كثير من الطلبة والمدرسين وبعض الوجهاء. (أبوريه، المصدر السابق، ص 48، 49)

ومما تقدم يتضح أن الأفغاني حدد غرضه في الحياة ووهب نفسه للوصول إليه وهو إنقاذ الدول الإسلامية من ضعفها وتبصرة شعوبها بحقوقها ورفع نير الأجنبي وتحديد مركز الحاكم والمحكوم فيها، فكان شعلة ذكاء وقوة هائلة متحركة محركة دائم التفكير، ودائم القول لم يفهم ومن لا يفهم، دائم النقد، دافعاً للحركة والثورة في المطالبة بالحقوق. (أمين، المرجع السابق، ص 78).

ومن أهم تلاميذ الأفغاني ومريديه الذين ذكرهم أحمد أمين "محمد عبده - سعد زغلول - إبراهيم اللقاني - إبراهيم الهلباوي - محمود سامي البارودي - إبراهيم المويلحي - أديب اسحق" وغيرهم، كما تعاهد معه العديد من الأمراء على انقاذ البلاد من المظالم، فكان الأفغاني أول من طالب الحكومة بمساواة الضباط المصريين بالضباط الشراكسة في جميع الحقوق من حيث المراتب والترقية والعمل والاختصاص وكان بينهم تفاوت كبير مما كان سبباً من أسباب الثورة العربية.

(قلعجي، المصدر السابق، ص 25)

وخلال إقامة السيد جمال الدين في مصر صار له أصدقاء وأولياء من أصحاب المناصب العالية مثل "محمود سامي البارودي" أحد زعماء الثورة العربية، مما يروى عنه أيضاً أنه بعد ذيوع شهرته أخذ يقرب منه عامة الناس ويقول لهم أثناء حديثه معهم "هبوا من غفلتكم - اصحوا من سكرتكم - انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول - عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء - أو موتوا شهداء" حيث شهد جمال الدين الأفغاني خلال إقامته في مصر التدخل البريطاني الذي وصل إلى حد كبير في عصر "إسماعيل". (مظهر، د.ت، ص 15)

وما تقدم يتضح أن جمال الدين الأفغاني قد تحرك في البيئة العربية الإسلامية في مصر حركة استهدفت التغيير وتخليص الشعب من الظلم، وحاول أن يكون ثورة دينية تنفض عن الإسلام الغبار الذي لحق به في عهد التخلف، وغادر جمال الدين مصر في عام 1296هـ - 1878م وذهب إلى الهند، وأقام في مقاطعة "حيدر آباد الركن" وهناك كتب رسالته الشهيرة في الرد على الدهريين وهم أصحاب اتجاه فكري لا يعتقد بوجود حياة بعد الموت. (قلعجي، المصدر السابق، ص 26)

وعندما قامت الثورة العربية في مصر وهي التي نماها جمال الدين بأفكاره دعت الحكومة الهندية الإنجليزية من حيدر آباد وألزمته بالإقامة في "كلكتا" وأقامت عليه الرقابة، حتى انقضى أمر الثورة العربية واحتلت بريطانيا مصر فأبيح له الذهاب إلى أي بلد، فاختار الذهاب إلى أوروبا، وكانت أول مدينة وصل إليها هي لندن ثم غادرها إلى باريس، بعد أن قاسى خلال فترة إقامته في الهند 1878 - 1882 ظروف صعبة، فلم تكن له حرية الحركة أو التحدث مع الناس، وعند وصوله إلى باريس التي أقام بها ثلاث سنوات لحقه تلميذه الشيخ محمد عبده وكان منفيًا إلى بيروت بعد سقوط الثورة العربية وأصدرها معاً جريدة العروة الوثقى التي صدر منها ثمانية عشر عددًا. (المصدر نفسه، ص 27)

وأثناء إقامته في باريس نشر مقالات في جرائدها تبحث في سياسة روسيا وإنجلترا والدولة العثمانية ومصر، وترجمت كثيراً منها، وجرت له أبحاث فلسفية مع الفيلسوف الفرنسي الشهير "رينان" في العلم والإسلام فأثبت لهذا الفيلسوف أن الإسلام دين ينصر العلم ويمقت الجمود، لا كما

يفهمه كثير من علماء أوروبا، وشهد هذا الفيلسوف للأفغاني بسعة العلم وقوة الحجّة، وذهب جمال الدين إلى لندن في عام 1885م ولم تطل إقامته بها وكان معه تلميذه "محمد عبده". (الزريبي، المرجع السابق، ص 175)

سافر الأفغاني بعد ذلك إلى موسكو ليتحدث مع القيصر عن سياسات الشرق والغرب ويستشيريه ضد الإنجليز، واستقبل فيها بالحفاوة والترحاب، وطال بقاؤه في روسيا نحو أربع سنوات يث فيها آراءه الثورية، وكان القيصر يصغي إليه ويعظم قوله إلى أن سأله مرة عن سبب خلافه مع شاه فارس فأجابته، فغضب القيصر من هذا الرد، فأوعز إلى أكبر رجال بلاطه بالإسراع إلى إخراجته من روسيا، وخلال إقامته في روسيا استطاع إقناع القيصر بحسن معاملة المسلمين والإذن لهم بطبع المصحف الشريف، وبعض الكتب الدينية فأذن بذلك، وطبع القرآن لأول مرة في روسيا بسبب طلب جمال الدين الأفغاني وبعد إخراجته ذهب إلى إيران في عام 1889م فتلقيه الناس باعتباره زعيمهم المعبر عن أمانيتهم والمفصح عن آمالهم في تحسين حال البلاد السيئة وتخفيف آلامها ولكن شاه إيران تخوف من الأفغاني وما يسببه من مشاكل، وأحس جمال الدين بالخطر وقرر مغادرة طهران. (كمال، المصدر السابق، ص 21)

اتجه من إيران إلى البصرة في العراق ولم يقيم فيها إلا شهوراً، ثم سافر إلى لندن وأنشأ بها جريدة سماها "ضياء الخافقين" خصصها للطعن في الشاه وكل الحكام الذين لا يحملون أمانيت شعوبهم، وكان يكثر من التردد على المحافل السياسية يخطب فيها ويحض على خلع الشاة، وظل في لندن ثمانية أشهر حتى بعث إليه السلطان عبدالحميد عن طريق سفيره في لندن رستم باشا، يستدعيه إليه، فاستجاب لطلبه بشرط السماح له بالعودة إلى أوروبا متى شاء ووصل الأستانة في عام 1892م وظل بها إلى أن مات مسموماً عام 1897م. (فخري، المصدر السابق، ص 252)

المحور الثاني

الجامعة الإسلامية

أولاً: فكرة الجامعة الإسلامية:-

نتيجة لتردي الأوضاع، وفساد الأمور في الدولة العثمانية خلال الفترة الأخيرة من حكمها مما أدى إلى طمع الدول الغربية بها، وقد ضعف مركز الخلافة نتيجة ضعف سلاطين آل عثمان في تلك الفترة مما هدد الوحدة الإسلامية التي صمدت في وجوه الطامعين قروناً طويلة بفضل السلطة الروحية، والمكانة الرفيعة التي كانت تحتلها في قلوب المسلمين. (المحامي، 1977م، ص 326)

ومن جهة أخرى، فقد وقعت أحداث دامية في العالم الإسلامي جعلت المسلمين يتطلعون نحو الدولة العثمانية لقيادتهم وحمايتهم، ففي الهند كان المسلمون مشتتين بعد سيطرة بريطانيا على البلاد، وفي وسط آسيا، غزا الروس طشقند وسمرقند في عام 1868م فاستنجد خانات الترك بالدولة العثمانية ضد محاولات روسيا السيطرة على بلادهم. (عمر، د.ت، ص 404)

كما بسطت فرنسا حمايتها على تونس عام 1881م واحتلت بريطانيا مصر، وأعلنت ألمانيا حمايتها على دار السلام في عام 1891م وانتشرت أخبار اضطهاد المسلمين الوحشي في البلقان، ووجهت الاتهامات إلى رجال الإصلاح، بأنهم أهملوا شأن علماء الدين وتغاضوا عن التقاليد الإسلامية، وظهرت لدى المسلمين قناعة بأن الدول الأوروبية هي سبب الارتباك المالية التي تعاني منها الدولة العثمانية، بالإضافة إلى إسرافهم في إساءة استخدام الامتيازات الأجنبية، فاستيقظ بذلك الشعور الإسلامي تجاه هذا الموقف المتدهور لإيجاد نوع من الرابطة بين أجزاء العالم الإسلامي بدعوة المسلمين إلى التعاون فيما بينهم لإصلاح أحوالهم، والتكفل لمواجهة الاستعمار الأوروبي وبرزت من خلال هذه الأحداث ثلاث اتجاهات فكرية لغرض الإصلاح. (حليم، 1988م، ص 223)

نادى الاتجاه الأول بالإصلاح على أساس اقتباس النظم والأساليب الغربية في الحكم والإدارة والثقافة والاجتماع دون قيد أو شرط، وكان من أشهر المنادين بهذا الاتجاه في الدولة

العثمانية "فؤاد باشا - 1815م - 1869م"، ومدحت باشا "1822م - 1885م".
(عمر، المرجع السابق، ص 405)

والاتجاه الثاني نادى بالعودة إلى الجذور الإسلامية، وتطبيق المبادئ والأفكار الإسلامية، وبرز في هذا المجال نامق كمال (1840م - 1899م)، دعا إلى تطبيق أساليب ونظم الحياة الغربية في الدولة العثمانية بعد تكييفها لتتماشى مع التقاليد الإسلامية، وظل مخلصاً للمبادئ والأفكار الإسلامية داعياً إلى أن تستمر الدولة في تمسكها بقوانينها ومعتقداتها التي تشكل أساس حضارتها. (الشناوي، 1983م، ص 1184)

كما دعا إلى اتحاد العثمانيين واتفاق المسلمين، ودعم حركة الجامعة الإسلامية، باعتبارها وسيلة هامة لحل مشكلات الدولة العثمانية والمسلمين كافة، وانتهى إلى قيام وحدة إسلامية تحت قيادة الدولة العثمانية. (طقوس، 1995م، ص 496)

كما برزت شخصية أخرى معاصرة في هذا الاتجاه دعت إلى الإصلاح الشامل لأوضاع المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً ناشراً آراءه في كافة العالم الإسلامي وهذه الشخصية هي "جمال الدين الأفغاني 1839 - 1897"، ويعتبر زعيم هذه الفكرة وداعيتها الأول وكانت دعوته تقوم على أساسين هما:

1. إصلاح أحوال المسلمين ليأخذوا بأسباب المدينة الحديثة.
 2. العمل على تحرير الشرق من سيطرة الغرب، والسمو بشعوبه إلى مستوى الأمم الحرة.
- واستمر يدعوا إلى اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم وعليهم أن يكتشفوا أسباب تقدم الغرب وتفوقه، والأخذ بهذه الأسباب حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، ووقاية بلادهم من خطر الاستعمار، وهذا لا يتأتى إلا بالنهوض بالشعوب الإسلامية، وتكوين وحدة شرقية إسلامية عامة تكفل حرية المسلمين واستقلالهم، خاصة وأن الدولة العثمانية لم يعد في مقدرتها حماية ولايتها الإسلامية من أطماع الدول الأوروبية المتطلعة إليها. (أمين، المرجع السابق، ص 90)
- أما الاتجاه الثالث فكان اتجاهاً توفيقياً نادى أصحابه بفكرة التدرج في الأخذ عن الغرب في مجال الإدارة والسياسة والثقافة والفكر، وقد أكد أصحاب هذا الاتجاه أن الاقتباس من الغرب

من نظم ديمقراطية أو في مجال حرية الأفراد والجماعات ليس غريباً عن مفاهيم المجتمع الإسلامي ولا عن ثقافته، وكان من بين الداعين إلى هذا الاتجاه الفكري المفكر العثماني ضيا باشا "1825 - 1880". (حليم، المرجع السابق، ص 225)

ثانياً: السلطان عبد الحميد وتبنيه لحركة الجامعة الإسلامية:

عندما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة العثمانية كان العالم العربي يشهد قيام فكرتين كانتا ردة فعل ضد الاستعمار، وازدياد السيطرة الأجنبية وهما "فكرة الجامعة الإسلامية" و"فكرة القومية العربية والوحدة العربية" التي انتشرت في العالم العربي خاصة بين نصارى بلاد الشام، في حين كان العالم الإسلامي قد أضحى هدفاً للأطماع الاستعمارية، مما حدا بزعماء المسلمين إلى التفكير في أحوال المسلمين والبحث عن سبب تأخرهم، فاهتدوا إلى ضرورة الدعوة إلى الإصلاح، وجمع كلمة المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، للوقوف في وجه الزحف الاستعماري. (الحمامي، المصدر السابق، ص 328)

بذلك نشأت فكرة الجامعة الإسلامية وهي تقوم على دعوة المسلمين إلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم لإصلاح أحوالهم، والتكفل لمواجهة موجة الاستعمار الأوروبي، أدت هذه الأمور إلى تردي الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، الذي وجد في هذه الفكرة علاج لما تعانيه سلطنته من أمراض، فتزعمها؛ لأن فيها حماية للدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها، كما أدرك ضرورة العمل على توحيد القوى الإسلامية لمجابهة الدول الأوروبية الطامعة بالخلافة وثرواتها، ورأى أن الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية دائمة ومستمرة، ولا بد من العمل من خلال الإسلام على توحيد العناصر الإسلامية المتعددة في الدولة في جبهة واحدة. (قلعجي، المصدر السابق، ص 28)

وذهب إلى أبعد من ذلك عندما رأى أن هذه الوحدة الداخلية لا تكفي ولا بد من امتداد تأثير الوحدة الإسلامية إلى كل مسلمي العالم. (عبدالرحيم، 1990م، ص 238)

لذلك تبني السلطان هذه الحركة، وأخذ على عاتقه تنفيذها، بعد أن هب لها الأذهان كل من "نامق كمال" في البيئة العثمانية، وجمال الأفغاني في البيئة الإسلامية والعربية، ووجد فيها خير

معين له لتنفيذ سياسته الداخلية والخارجية.

ففي الداخل كان تنفيذ مبادئ حركة الجامعة الإسلامية يعني الالتزام بمحدود الشريعة الإسلامية، وهي البديل للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة. (مانتران، 1993م، ص 45)

وفي الخارج كان يعني التفاف المسلمين حول الخلافة، التي كانت في آل عثمان بغض النظر عن أجناسهم وقومياتهم، باعتبارها قوة رابطة بين الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، وحامية الإسلام والمسلمين، ضد مطامع الدول الأوروبية الزاحفة عليهم، وتوطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات. (طقوس، المرجع السابق، ص 498)

إذاً علق السلطان عبد الحميد الثاني أماله في انقاذ الدولة بتبنيه لحركة الجامعة الإسلامية وإعادة إحيائها، بعد أن اقتطعت معظم أجزائها البلقانية في أوروبا وزعزعتها الحرب مع روسيا وهددتها أطماع إنجلترا وفرنسا، وذلك بضم الرأي العام الإسلامي إلى جانبها في هذا الوقت العصيب الذي تمر به الدولة العثمانية، واستطاع بواسطتها أن يحتفظ بولاء العناصر غير التركية داخل دولته وأن يكسب إلى جانبه جميع المسلمين خارج حدودها، وكان في احتضانه لها أقرب إلى الأخذ بآراء الأفغاني من آراء نامق كمال الذي اعتمد في تحقيق دعوته على الوسائل الثقافية، أكثر من اعتماده على الوسائل السياسية. (الشناوي، المصدر السابق، ص 1186)

ولكي يستطيع تحقيق هذه الدعوة اهتم من جهة بالمحافظة على ما تبقى للدولة من الأقاليم العربية، بعد ضياع تونس ومصر لأنه لو سلخ قطر آخر عربي عنها فسيشكل ضربة شديدة لحركة الجامعة الإسلامية، ومن جهة أخرى قرب إليه عدداً من الشخصيات الإسلامية والعربية لتدعمه في مسيرته في هذا الاتجاه، وليأخذ بآرائها ليستفيد منها في المستقبل لتقوية نفوذه، وامتنع السلطان عن التوقيع على الاتفاقية التي أعدت في عام 1887م بخصوص تنظيم حرية المرور في قناة السويس وطالب بإدخال تعديلات عليها هما:

1. وضع استثناء يحول الحكومة العثمانية الحق في عدم الالتزام بالقواعد العسكرية الخاصة بتأمين حرية الملاحة في القناة، وذلك عندما يكون الأمر متعلقاً بالإجراءات التي ترى الحكومة العثمانية أنه من الضروري اتخاذها لحماية ممتلكاتها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر.

2. أن تكون لجنة القناصل المكلفة بمراقبة تنفيذ الاتفاقية برئاسة مندوب عثماني ووافقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على طلب السلطان الأول، بينما رأت وضع حل وسط فيما يتعلق بالتعديل الثاني. (المصدر نفسه، ص 1186)

وحقق السلطان من وراء ذلك انفراد الدولة العثمانية بمركز ممتاز في الاتفاقية كدولة صاحبة السيادة على مصر، وباعتبار السلطان خليفة المسلمين يتزعم حركة الجامعة الإسلامية، كما أدرك أهمية العنصر العربي ودوره الثقافي والحضاري، والديني، وأن هدف الاستعمار تحقيق فجوة تؤدي إلى سلخ العرب عن الدولة العثمانية، فغمر زعماءهم بالهدايا والأوسمة وقلدهم المناصب الرفيعة، فغبن بعضهم في وظائف الدولة والقصر كما اختار نخبة من الجماعات العربية، وكون منها فرقة عسكرية أدخلها في حرسه الخاص، وخصص لذلك أموالاً وفيرة لإصلاح المساجد، وهي المكان الرئيسي لعبادة المسلمين، كما اهتم بإنشاء مكتبات عامة في أمهات المدن العربية كان أشهرها المكتبة العثمانية في المدينة المنورة. (حليم، المصدر السابق، ص 228)

كما زاد في توثيق صلته بالعرب بأن صاهرهم، فزوج أميرتين من أسرته إلى شابين عربيين هما "عبدالمجيد بن الشريف علي حيدر - صالح بك خير الدين التونسي".

كما قام السلطان بدعوة الزعماء والمفكرين المسلمين من غير العرب للاستعانة بهم والاستفادة من أفكارهم في مجال دعم حركة الجامعة الإسلامية، حتى يظهر للعالم الإسلامي أنه يعزى العلم والعلماء المسلمين. (المحامي، المصدر السابق، ص 346)

ففي عام 1892م وجه دعوة إلى الشيخ "جمال الدين الأفغاني" لزيارة استانبول والإقامة بها ضيفاً عليه، وكان يهدف من وراء ذلك إلى عاملان:

1. صدور جريدة العروة الوثقى باللغة العربية في باريس في عام 1884م من قبل الأفغاني والشيخ محمد عبده وهي تدعو إلى قيام روابط بين أقطار العالم الإسلامي، وقد أدت دوراً رئيسياً في بلورة المحتوى العقدي لفكرة الجامعة الإسلامية، وقد أوضحنا دور هذه الجريدة في المحور الأول من هذا البحث.

2. وصل إلى السلطان من أن الأفغاني اتصل في باريس ببعض أعضاء جمعية تركيا الفتاة فأعجب ببرنامج الجمعية، وشجع أعضاءها على المضي في حركتهم، خشية منه بأن ينظم

الأفغاني إلى هذه الجمعية. (مانتران، المرجع السابق، ص 47)

لجى الأفغاني دعوة السلطان بعد تردد، وقد عزم على تنسيق أهدافه مع حركة الجامعة الإسلامية التي كان ينادي بها ويضع مشروعاته الإصلاحية في خدمة الدولة العثمانية وقد برز الأفغاني هذا التحول في سياسته حذر السلطان وأعداده العدة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا، لقي الأفغاني أثناء إقامته في العاصمة كل رعاية وتكريم ولما اجتمع به السلطان، أعجب به وطلب منه التوقف عن مهاجمة "ناصر الدين" شاه فارس والتشهير به، وكان هذا الأخير قد طرده من البلاد قبل عام خشية من مشروعه الإصلاحية لبعض القوانين. (عبدالرحمن، المرجع السابق، ص 240)

وبعد اغتيال الشاه في عام 1896م استغل خصوم الأفغاني هذه الفرصة واتهموه بأنه هو الذي حرض على قتله، بالإضافة إلى أن أراء الأفغاني التحررية لم تلق تجاوباً من قبل السلطان، الأمر الذي أدى إلى تشديد الرقابة عليه، فغادر استانبول إلى لندن، لم يستطع السلطان عبدالحميد أن يستفيد من مواهب الأفغاني بشكل يدعم حركة الجامعة الإسلامية. (الشناوي، المصدر السابق، ص 1187)

كما لجأ السلطان عبدالحميد لدعم الحركة، انه اتجه إلى إحياء الخلافة الإسلامية حتى يلتف المسلمون في جميع أنحاء العالم حوله، واكتساب الطاعة والولاء لعرشه باستمالة الملايين من المسلمين غير الأتراك داخل دولته بالإضافة إلى الاحترام والهيبية أمام رعاياه وأمام المسلمين خارج حدود دولته، من رعايا الدول الأوروبية وأراد من ذلك تغيير مركزه كخليفة بالاسم إلى خليفة بالفعل ويتخذ من مركز الخلافة قوة يصل بها إلى أهدافه السياسية، وحرص على أن يقرن اسمه بالألقاب الدينية التي يقرن بها اسم الخليفة مثل "خادم الحرمين الشريفين"، بهدف استمالة الشعوب الإسلامية في مختلف الأقطار للالتفاف حول الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة مما يؤدي إلى دعم مركز الدولة العثمانية تجاه الدول الأوروبية. (البشري، المرجع السابق، ص 502)

حتى يكون قدوة للمسلمين أضعف السلطان على حياته الخاصة مظاهر الزهد والتقشف، واهتم بممارسة الشعائر الدينية علانية، وأحاط نفسه بعلماء الدين فأنشأ معهداً لتدريب الوعظ الديني، بواسطة الذين ينتشرون في مختلف الأقطار الإسلامية ليثبتوا الأخبار الحسنة عن الخليفة ساعين إلى توثيق الروابط بين الدولة وخليفة المسلمين. (طقوس، المرجع السابق، ص 502)

وأصدر السلطان المحلات، وساعد الصحف لتقوم بدورها في الحقل الإعلامي وتوجيه الناس نحو سياسته الإسلامية، واهتم بإقامة الاحتفالات الخاصة بالأعياد والمناسبات الإسلامية وأدخل اللغة العربية على برامج الدروس في المعاهد وشجع استخدامها، وأبدى رغبته في مساواتها باللغة التركية كلغة رسمية. (عربي، المرجع السابق، ص 126)

ونتيجة لهذه الإجراءات بدأ السلطان يستعيد حقه كخليفة في تعيين الموظفين الدينيين ومن أهم الأعمال التي قام بها السلطان من أجل دعم حركة الجامعة الإسلامية إنشاؤه خط سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة في مطلع القرن العشرين، هادفاً منه خدمة الحجاج وإيجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الأمن والراحة والسرعة وقد قدم هذا الخط خدمات جليلة إلى العالم في العديد من النواحي. (المرجع نفسه، ص 127)

فمن الناحية الدينية أثار هذا المشروع الحماس الديني فربط أواصر المسلمين في مختلف البقاع بالخليفة، ورأى فيه المسلمين تطويراً لوسائل النقل إلى أماكن الحج، فكان له أثر في تثبيت مكانة الخلافة. (طقوس، المرجع السابق، ص 502)

ومن الناحية الاقتصادية، انفتحت المراكز والمدن الحجازية التي يمر بها الخط على بلاد الشام والأناضول وأستانبول، فأصبح وسيلة اتصال مهمة بين شبه الجزيرة العربية وسواحل بلاد الشام، كما استعمله السكان في نقل محاصيلهم الزراعية إلى المدن الكبرى، وظهرت القرى وأماكن الاستقرار على طول الخط، واستصلحت الأراضي، ومارس الناس بعض النشاطات الزراعية، كما زاد من عدد السكان في هذه المناطق. (عبدالرحمن، المرجع السابق، ص 243)

ومن الناحية السياسية، بدت الدولة العثمانية، دولة عصرية متطورة تمد الخطوط الحديدية في قلب الصحارى لإنشاء المواصلات السريعة بعد أن كان يرميها خصومها بالجمود والتخلف، ومن

الناحية الفكرية، ساعد الخط على سرعة انتشار الأخبار بنقل الصحف والمطبوعات إلى أقاليم شبه الجزيرة العربية الأمر الذي أدى إلى تبادل الآراء بين أقاليم العالم الإسلامي في آسيا.

ومن الناحية العسكرية، فقد ربط خط السكة الرئيسي والخطوط المتفرعة عنه بلاد الشام بعضها ببعض بالإضافة إلى ربطها بسائر مناطق شبه الجزيرة أيضاً، وسهل في تعزيز القوات العثمانية المرابطة في فلسطين والحجاز واليمن وانتقالها، بعد أن كانت تنقل بواسطة البحر عبر قناة السويس، وظهرت أهمية المشروع في الحرب العالمية الأولى. (بك، المصدر السابق، ص 736)

كما استهدف السلطان من وراء إنشاء هذا الخط، بالإضافة إلى دعم حركة الجامعة الإسلامية إلى تحقيق أهداف أخرى هي:

1. ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما يساعد على نجاح فكرة الدولة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها.
2. إلزام تلك الولايات على الاندماج بالدولة والخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.
3. تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أية وجهة من الجهات التي تتعرض للعدوان، لأن الخط يسهل نقل القوات والإمدادات إلى الأطراف التي يمر بها، بالإضافة إلى أن صعوبة المواصلات كانت عاملاً أضعف خضوع هذه الولايات العربية للدولة. (البشرى، المرجع السابق، ص 168)

ثالثاً: مدى نجاح حركة الجامعة الإسلامية

لقيت حركة الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني صدى بعيداً في العالمين الإسلامي والعربي والدليل على هذا النجاح الآتي:

1. تنافس الدول الأوروبية الكبرى على الاستعمار في الشرق، وحدثت سلسلة من الاعتداءات على الشعوب الإسلامية والعربية.
2. اعتراض الدول الأوروبية في مؤتمر استانبول الذي عقد في 23 - حزيران - 1882م على

إرسال قوات عثمانية إلى بعض الدول العربية لتهدئة الحالة فيها، خشية ازدياد النفوذ الإسلامي في شمال إفريقيا ودعم حركة الجامعة الإسلامية، مما يؤدي إلى إضعاف مركز هذه الدول فيها. (الشناوي، المصدر السابق، ص 1330)

3. شكلت حركة الجامعة الإسلامية عامل دعم لموقف السلطان عبد الحميد، وأيقظت الشعور الإسلامي، وحثت المسلمين على الوقوف صف واحد لإقامة جامعة إسلامية توحدتهم لمواجهة العدوان الغربي، مما ساعد السلطان على تهديد هذه الدول الأوروبية مستغلاً حركة الجامعة الإسلامية في هذا، واستطاع الانتصار على بعض منها، فأقيمت الاحتفالات في العالم الإسلامي ابتهاجاً، فعمت الشعوب الإسلامية الثقة للتخلص من السيطرة الأوروبية وتجسدت بانتفاضات واضرابات وكتابات في الصحف في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. (أنطونيس، المرجع السابق، ص 155)

4. مساندة ألمانيا لحركة الجامعة العربية، وهدفت من وراء هذه المساعدة الحصول على مركز متميز لدى الدولة العثمانية بهدف الزحف نحو الشرق، كما اعترفت بالسلطان العثماني خليفة للعالم الإسلامي، وقد رحب السلطان عبد الحميد بهذا الاعتراف لأنه صدر من دولة لها وزنها في أوروبا، وتباهى به من أجل استغلاله في الدعوة لنفسه، وفي ترسيخ حركة الجامعة الإسلامية. (عربي، المرجع السابق، ص 126)

5. توقف الزحف الاستعماري الأوروبي العسكري على الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية بعد الاحتلال البريطاني لمصر في عام 1882م وحتى نهاية حكم السلطان عبد الحميد الثاني. (الشناوي، المصدر السابق، ص 1332)

6. ساعد تقدم وسائل النقل على انتشار الصحافة في البلاد الإسلامية، وعلى انتشار حركة الجامعة الإسلامية، وأصبح العالم الإسلامي أكثر اتصالاً ببعضه ببعض. (عربي، المرجع السابق، ص 126)

رابعاً: أهم العقبات التي واجهت الجامعة الإسلامية:

لقد صادفت حركة الجامعة الإسلامية عدة عقبات أعاققت تحقيق الوحدة الإسلامية

ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

1. كان العالم الإسلامي يمر في حالة تفسخ وتخلف وجهالة، فكان من الصعوبة توحيد صفوفه واجتماع قاداته لمواجهة المؤامرات الاستعمارية.
 2. على الرغم من تطور وسائل الإعلام فإنها لم تصل إلى كل منطقة ومدينة وبيت، ولم يكن بمقدرة الوعاظ والمرشدين الذين يرسلهم السلطان إلى أرجاء العالم الإسلامي أن يصلوا إلى جميع هذه التجمعات الشعبية الإسلامية المنتشرة في آسيا وأفريقيا.
 3. كانت قبضة الدول الاستعمارية الأوروبية على الأقاليم الإسلامية الخاضعة لها قوية بحيث لم تكن تسمح بحركات سياسية مناهضة لها.
 4. ظهور العديد من الدعوات الراضية لحركة الجامعة الإسلامية كفكرة دينية، خاصة في العالم العربي وتركيا نفسها، وأوروبا أيضاً، فتنادوا إلى حركة القومية العربية كبديل عن حركة الجامعة الإسلامية. (طقوس، المرجع السابق، ص 511)
- ففي بلاد الشام ظهرت حركة القومية العربية التي حمل لواءها العرب المسيحيون بعد أن أبدوا خشيتهم أن تتهدد الأخطار كيانهم، أما في تركيا فقد قامت الحركة الطورانية التي تعصب لها رجال الاتحاد والترقي، واتخذوها دعامة في دعم سياستهم بعد أن انتهى إليهم حكم الدولة، أما في أوروبا فأخذت الدول الأوروبية التي تحكم رعايا المسلمين، موقف معارض، لكي تحافظ على الأوضاع القائمة في البقاع التي تحتلها أو تهيمن عليها، فعملت على تشويه هذه الحركة في أذهان المسلمين وأثارت مخاوفهم من أهداف السلطان عبدالحميد وتخوفهم من أن يتعرضوا إلى حكم استبدادي يتسم بالظلم. (عبدالرحمن، المرجع السابق، ص 244)

المحور الثالث

موقف جمال الدين الأفغاني من الجامعة الإسلامية ودوره فيها

ظهر جمال الدين الأفغاني في الفترة (1838 - 1897) وولد في "سعد آباد" وهي كما أوضحنا في المحور الأول من هذا البحث أحد مناطق كابول عاصمة أفغانستان تعلم تعليماً

رفيع المستوى، تعلم اللغات الأفغانية - العربية - الفارسية - الهندية - التركية - الفرنسية - كما درس علوم الدين والمنطق والفلسفة والتاريخ والرياضيات، شهدت أفغانستان صراع بريطاني روسي من أجل مد النفوذ على المنطقة، فشهد بذلك العديد من التيارات السياسية الدولية في اتجاه الإسلام، قام بزيارة العديد من المناطق والدول وهي "الهند - الحجاز - مصر - فارس - العراق - روسيا - استانبول) ثم سافر إلى لندن وأقام في باريس. (البشري، وآخرون، المرجع السابق، ص 169)

ومن خلال هذه الأسفار صقل نفسه عن طريق الدراسة والتجارة والسفر حتى أصبح فيلسوفاً وزعيماً دينياً، ومصلحاً اجتماعياً، وسياسياً مرموقاً، وصحفيًا قديرًا، وأطلق عليه "حكيم الشرق"، بدأ نشاطه في المجال العلمي التثقيفي وانتقل إلى المجالين الديني والاجتماعي، وانتهى به الأمر مبشراً وداعياً إلى قيام وحدة بين أجزاء العالم الإسلامي تلتزم بمبادئ الشريعة، وتعيد مجد الإسلام، وتقف في وجه الاستعمار الأوروبي على البلاد الإسلامية، وعرفت الوحدة باسم "حركة الجامعة الإسلامية". (الزبيبي، المرجع السابق، ص 1752)

ومن خلال إقامته في مصر والتي امتدت أكثر من ثماني سنوات حتى 1879م والتي حفلت بنشاط علمي مكثف شمل النواحي الدينية، حيث شمل هذا النشاط شقين، الشق الأول تمثل في دراسة علمية منظمة انضم إليها العديد من المثقفين ألقى من خلالها دروساً في المنطق والفلسفة وأصول الفقه، أما الشق الثاني تمثل في لقاءات فكرية ألتقى فيها زواره في بيته مع المثقفين وعامة الناس وكانت هذه اللقاءات أشبه بمدسة غير نظامية، وأثر هذه اللقاءات الفكرية نقل نشاطه إلى المجال السياسي، وساعده على ذلك الأحداث التي كانت تمر بها مصر في أواخر حكم "إسماعيل باشا"، فكوّن بذلك مجموعة من المثقفين والشباب وشجعهم على الكتابة وأوحى إليهم بالأفكار التي يكتبون فيها، فظهرت بذلك العديد من الجرائد مثل "مصر" كما أنشأ "أديب اسحق" صحيفة "التجارة" بالإسكندرية، بذلك ظهرت روح المعارضة واليقظة في مجلس شورى النواب. (عربي، المرجع السابق، ص 122)

ودعا الأفغاني إلى إصلاح أوضاع المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً، وكانت هذه الدعوة شاملة وكان مثله الأعلى حال المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين من حيث التمسك بأهداف الدين والصفات الخلقية والنظام السياسي "حكومة إسلامية" واحدة تلتزم بأحكام الشريعة، ونتيجة للمصاعب التي كان يراها، اكتفى بالدعوة إلى قيام روابط محكمة بينها، تأخذ شكل حلف إسلامي بين الدول الإسلامية فكانت دعوته تستهدف العالم الإسلامي كله، واستهدف تخليص المسلمين مما كانوا يعانونه من جمود فكري وتحلف حضاري، للرفع من مستواهم عن طريق نشط التعليم نشرًا واسعاً، وتطبيق الدين الإسلامي والمناداة بحرية الفكر وقيام حكم الشورى في وجود دستور يحدد سلطات الحاكم من أجل الحد من سيطرة الغرب السياسية والاقتصادية على الشعوب الإسلامية، وأن تتخذ الدول الإسلامية في ظل خليفة واحد كما كان الأمر في العصر الذهبي الإسلامي. (طقوس، المرجع السابق، ص 512)

فكانت وحدة المسلمين هي السبيل إلى تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية لأنها كفيلة بوقف المسلمين صفوفاً مترابطة أمام الزحف الأوروبي الاستعماري، الذي كان يشتد ضغطه وخطره على أرجاء العالم الإسلامي، فالدين والتجمع الإسلامي وحرية الفكر ونظام الشورى، والتصدي لأخطار الزحف الاستعماري، ومن المقومات الأساسية التي تركز عليها دعوة الأفغاني. (الشناوي، المصدر السابق، ص 1195)

كانت فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني تقوم على دعامين

أساسيتين:

أولاً: الحج إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة حيث الكعبة الشريفة وسائر البقاع الإسلامية المقدسة في الحجاز، والحج فضلاً عن أنه ركن من أركان الإسلام، فهو تربية دينية توصل العقيدة الدينية في نفوس المسلمين.

ثانياً: الخلافة وضرورة التمسك بها كنظام ديني ونظام سياسي، وكانت آن ذلك في آل عثمان، وكان الالتفاف حول الخلافة هو المظهر العملي للوحدة التي تقوم عليها دعوة الأفغاني، وقد هزت هذه الدعوة العالم الإسلامي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

(ستودارد، 1352هـ، ص 306)

ومما تقدم يتضح أن دعوة الأفغاني جاءت في وقت مناسب إذ كان عدد من أقاليم العالم الإسلامي في هذه الفترة يموج بحركات بعث وإحياء دينية كرد فعل للنشاط الاستعماري الذي مارسه الدول الأوروبية على عدد من الأقاليم الإسلامية، وذلك بإدخال العديد من أساليب الحضارة الأوروبية المسيحية والتي كانت تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية، واستطاعت بهذه الأساليب إدخال الكثير من المسلمين في سياقها، فكان من أهم أهداف تلك الحركات الدينية الإسلامية مقاومة التيارات الأوروبية، والبعد عن كل ما هو أوروبي مسيحي وتخليص الإسلام من الشوائب التي علققت به. (العدوي، 1990م، ص 175)

ومن بين تلك الحركات التي ظهرت في العالم الإسلامي الحركة السلفية في شبه الجزيرة العربية والسنوسية في شمال أفريقيا، والمهدية في السودان، وإذا كانت بعض الحركات الدينية قد حاربت النفوذ العثماني، إلا أنها كانت لها آثارها البعيدة في الحياة الدينية بالعالم الإسلامي بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص، وكانت شمال أفريقيا بيئة صالحة لظهور العديد من الطرق الصوفية والطوائف الإسلامية مثل "القادرية - الرفاعية - الشاذلية - المولوية - العيساوية - التيجانية - الرحمانية - السنوسية" وكانت لبعض هذه الحركات برامج سياسية استهدفت الرغبة في التخلص من النفوذ الأوروبي المسيحي. (قلعجي، المصدر السابق، ص 65)

وقد ظهرت حركة الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت الذي ظهرت فيه حركة الجامعة الصقلبية، وحركة الجامعة الحرمانية في أوروبا، ولكن حركة الجامعة الإسلامية كانت تتميز عن الحركتين بأن الفكرة الموجهة لها لم تكن فكرة بجميع العناصر الإسلامية التي تنتمي إلى جنس واحد، أو تتكلم لغة واحدة خاصة بها، كما أنها لم تكن تستهدف تحقيق التفوق السياسي أو بسط السيطرة الإسلامية على شتى أرجاء الأرض، بل كان هدفها تخليص العالم الإسلامي بعامته، وأقاليم شمال أفريقيا والشرق الأدنى والأوسط بخاصة من السيطرة الأوروبية المالية والسياسية والعسكرية. (العدوي، المرجع السابق، ص 175)

ثانياً: إصدار جريدة العروة الوثقى:

صدرت هذه الجريدة العربية في باريس في سنة 1884م تدعوا إلى قيام الجامعة الإسلامية ففي أثناء إقامة جمال الدين الأفغاني في العاصمة الفرنسية عقب سماح الحكومة البريطانية له بمغادرة الهند بعد إخماد الثورة العربية في مصر، فأستدعي إليه الشيخ محمد عبده وكان منفياً في بيروت، وهناك أصدرها جريدة "العروة الوثقى" بتمويل مالي من جمعية إسلامية سرية تحمل اسم "العروة الوثقى"، كانت قد تألفت لدعوة الأمة الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن ومقاومة الاستعمار الأوروبي وتعريف المسلمين بالأخطار المحيطة بهم وإرشادهم إلى وسائل التغلب عليها، وكانت تضم مجموعة من أقطاب العالم الإسلامي في الهند ومصر والشام وشمال أفريقيا، وكان لها فروع في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية، وكان كل فرع يجتمع للمذكرة وفي نهاية كل اجتماع يتبرع الأعضاء بقدر من المال في صندوق صغير للإنفاق منه على الجريدة والقائمين بها، وكانت ترسل جزء من أعدادها بالجمان ليتداولها الأمير والحقير، والغني والفقير (العروة الوثقى، د.ت، ص 69)، وتوزع العمل في هذه الجريدة على ثلاثة أشخاص هم "جمال الدين الأفغاني - محمد عبده - ميرزا محمد باقر". (العدوي، المرجع السابق، ص 176)

فكان للأول الأفكار والمعاني، والثاني التحرير والصياغة، والثالث التعريب، وقد صدر العدد الأول منها في 5 جماد الأولى - 1301هـ الموافق 13 - مارس - 1884م. (كمال، المصدر السابق، ص 25)

برنامج الجريدة

في العدد الأول لخصت الجريدة تحت عنوان: "الجريدة ومنهجها" أسلوبها في معالجة قضايا شعوب الأمة الإسلامية فيما يلي:

1. بيان الواجبات على الشرقيين والتي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلكها لتدارك ما فات والاحتراس من ما هو آت وبيان أصول الأسباب التي أفسدت حالهم، وعمت عليهم طريقهم، وإزاحة الغطاء عن الأوهام التي حلت بهم.
2. إشراب النفوس عقيدة الأمل في النجاح وإزالة ما حل بها من اليأس.

3. دعوتهم إلى التمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم، وهي ما تمسكت به الدول الأجنبية عزيزة الجانب.
4. الدفاع عما يرمي به الشرقيون عموماً، والمسلمين خصوصاً من التهم وإبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون في المدنية ما داموا متمسكين بأمر دينهم.
5. إخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة.
6. تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية، وتمكين الألفة بين أفرادها وتأمين المنافع المشتركة بينها، ومناصرة السياسة الخارجية التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحق الشرقيين. (قلعجي، المصدر السابق، ص 63)

وفي ضوء البرامج تناولت الجريدة في مقالاتها شتى الموضوعات مثل "الجامعة الإسلامية - الرابطة الشرقية - المسألة المصرية والسودانية ... إلخ"، وطالبت بتحرير مصر والسودان من الاحتلال البريطاني، كما تعرضت "للمسألة الهندية" وعالجت هذه الموضوعات بحماسة بالغة، محاولة تحريك الشعوب وإثارة مخاوفها من الاحتلال الأجنبي، وساهم الأفغاني بشكل كبير في هذه الجريدة وكتب فيها العديد من العبارات منها "غناء الإسلام عن القومية - لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم - علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم". (العدوي، المرجع السابق، ص 177)

ذاع شأن هذه الجريدة في العالم الإسلامي ولقيت إقبالاً شديداً في مختلف الأقطار وإلى جانب الجريدة استخدم الأفغاني وسيلة أخرى، فكان يوفد إلى الأقطار المختلفة رسالاً متخفين مزودين بالتعاليم التي لا يستطيع نشرها في الجريدة، فبعث برسول إلى موسكو، وآخر إلى الحجاز، وأرسل الشيخ "محمد عبده" وهو محكوم عليه بالنفي إلى مصر وتونس. (عربي، المرجع السابق، ص 124)

ولم يتح لهذه الجريدة أن تعيش أكثر من سبعة أشهر، فلم يصدر منها إلا "18 عدد" وكان آخر عدد صدر منها في 26 ذي الحجة 1301هـ الموافق 7 أكتوبر 1884م، واستطاعت منذ نشأتها أن تحدث دوياً بعيد الصدى، وكانت كل مقالة منها درساً يسط للشرقيين حقوقهم، وتعدد المظالم المحيقة بهم، وتفضح الدسائس والمؤامرات التي تدبر في الخفاء

للقضاء على روح التحرر فيهم، وتندد بحياة الذل والخمول والجشع التي يجيهاها الكثير منهم، وتدعوهم إلى الاتحاد والتضامن وتناسي كل اختلاف أو ضعينة فيما بينهم لصد المستعمرين عنهم. (طقوس، المرجع السابق، ص 512)

وحاولت الأوساط الاستعمارية الرجعية في العالم أن تحول دون نشر هذه الجريدة بل حاولت الأوساط الإنجليزية الاستعمارية منعها عن الصدور منذ البدء في إنشائها وعندما لم تستطع ذلك منعت دخولها إلى البلاد الهندية والمصرية، وألزمت الدولة العثمانية بالحجر عليها، وأوعزت إلى الحكومة المصرية بفرض غرامة على كل من يحوز هذه الجريدة وكانت الغرامة تتراوح ما بين "5 إلى 20 جنياً"، ولكن هذه التدابير التعسفية لم تعجز الأحرار وأولي العزم عن نقل الجريدة من باريس إلى كل بقعة تقرأ العربية فيها، فكان المفكرون الشرقيون يتبادلونها ويجمعون لقراءتها ويناقشون ما تنشره من روائع الحكم، ثم ينشرون بدورهم ما تلقوه من تعاليمها وأهدافها، فاستطاعت خلال فترة بسيطة من إحداث تغير فكري كبير في الوطن العربي. (البشري، المرجع السابق، ص 172)

ومن خلال هذه الجريدة يتضح لنا ما بذله "جمال الدين الأفغاني" في سبيل محاربة الاستعمار وذلك بمعرفته لأساليبه ومظالمه ومطامعه جميعاً، واستطاع إثارة الشعور الديني في محاربة المستعمرين وعدم انتباهه إلى قوة الشعور القومي، ولقد أراد أن يجعل من الدين وازعاً وطنياً، ومن النضال الوطني واجباً دينياً، فأخذ يعمل على تجديد عقائد المسلمين وتصحيحها، ومن ثم مخاطبة الشعور الديني في المسلمين ليحملهم على مقاومة الاستعمار، وقد تركت آراؤه وأفكاره بصماتها القوية في نفوس الطبقة المستنيرة في البلاد الشرقية وبصرتهم بسوء أوضاع أوطانهم مع الاحتلال الأوروبي، وضرورة تكتلهم لوقف الزحف الاستعماري الأوروبي، فكانت أول شرارة في الشرق لإلهاب الشعور بالكراهية للحكم الأجنبي. (ستودارد، المصدر السابق، ص 306)

ثالثاً: دعوة جمال الدين الأفغاني إلى الإصلاح والتجديد

كان جمال الدين الأفغاني ينادي بالمساواة بين البشر والعمل لخير النوع الإنساني، وكان يحارب التفرقة الدينية، ويرى أن الأديان الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، ويتمنى لو يتحد أهلها مثلما تحددت هي في جوهرها وهدفها، فيخطو البشر بهذا الاتحاد خطوة كبيرة نحو

السلام وقد انتهى إلى الاعتقاد بأن الدين قسمان، قسم عبادات وقسم معاملات، فالعبادات يؤديها الإنسان لربه بمعزل عن كل أحد فلا يعارض غيره بها ولا غيره يعارضه. (كمال، المصدر السابق، ص 25)

والله رب العالمين وهو الذي خلقكم من نفس واحدة، وأما المعاملات فهي شرع بين العموم، يخض أبناء الطوائف كلها على العمل لخير وطنهم متكاتفين متعاونين، وقد أخذ يحلم بتوحيد الأديان الثلاثة، ووضع لنظريته هذه خططاً، ودعا إليها أبناء الأديان والفرق المختلفة. (قلعجي، المصدر السابق، ص 72)

كما ذهب السيد جمال الدين الأفغاني إلى أكثر من ذلك فدعا إلى التوفيق بين الدين والعلم، بل يرى هذا الأمر ضرورة لا بد منها، فيقول "إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله". (ستودارد، المصدر السابق، ص 307)

كما أوضح إلى تأويل الدين أو تفسيره بما يطابق ضرورات العصر الحاضر وروح المدنية الحديثة فهو إنما يدعو إلى الاجتهاد البصير، وينفر من التقليد الأعمى لكل ما جاء به الأقدمون أو التمسك الحرفي بكل ما قاله المفسرون، فمن كان عالماً باللسان العربي، وعاملاً غير مجنون وعارفاً بسيرة السلف، وما كان من طرق الإجماع، وما كان من الأحكام مطبقاً على النص مباشرة، أو على وجه القياس، وصحيح الحديث، جاز له النظر في أحكام القرآن وهكذا كانت دعوته الدينية دعوة إلى التجديد والاجتهاد وتطهير الدين من الشوائب والبدع والتفاسير، وجعله قانوناً متطوراً يساير الحياة المتطورة، ويوحى كما هو في حقيقته بالسعي والتقدم والإبداع. (قلعجي، المصدر السابق، ص 72)

كما طالب بضرورة القيام بحركة تجديدية في الدين أشبه بحركة مارتن لوثر مؤسس البروتستنتية في أوروبا، تعني باستئصال ما رسخ في عقول العوام وبعض الخواص ممن منهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي، مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن لا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل فكان بذلك ملحاً على أن يحزر المسلمين من رثاة تقاليد وراثية أخلاق لا تمت بصلة إلى عقل أو يقين، فكان يدعو

المسلمين بذلك إلى النظر في حالهم، لتحقيق نهضة دينية تجديدية تلائم مقتضيات العصر الحديث، وتبين لهم أن الإسلام إذا فهم على وجهه الصحيح، يستطيع أن ينمو نموًا طبيعيًا وأن يتقدم تقدمًا يجمع بين المصالح المتحددة للحياة العملية وبين المطالب العالية للنفس الإنسانية. (المصدر السابق، ص 10)

هذا فيما يخص دعوة الأفغاني الدينية أما دعوته السياسية فقد تركزت في أمرين رئيسيين وهما "تحرير البلاد الشرقية من الحكم الاستبدادي واثقاها من الاستعمار الأجنبي - نتيجة لما رآه من تأخر وانحطاط بعد زيارته للشرق والغرب والتقدم والرقى والقوة في الجانب الآخر"، وعلل سبب هذا التفاوت الكبير في أخذ الغربيين بأسباب العلم والمدنية وتمسكهم بأهداف الحرية، بينما خضع الشرقيون للحكم المطلق فعانوا استبداد الأمراء الظالمين، وتعرضوا لعدوان المستعمرين لتفشي الجهل والجمود والاستكانة فيهم. (كمال، المصدر السابق، ص 26)

ومن ثم اتجه همه إلى انهاض البلدان الشرقية جملة وفردا، وكان أساس هذا النهوض في رأيه تحرر هذه البلدان من الحكم الاستبدادي، وتحررها من حكم الاستعمار، ثم تضافرها بنوع من الاتحاد يقوي العناصر بينها ويكفل لها السلامة والمنعة، وكانت الدعامة الأولى التي يعتمد عليها في الوصول بالشرقيين إلى هذه الغاية هي العلم، كما نهامهم عن التفاخر بأبجاد ومفاخر دفنت في أجداث الأجداد، ولينظروا إلى حاضرهم فيتدبروا شأنه ويعالجوا نقصه، ويستفيدوا من عبرهم لإصلاح الحاضر، وبناء ما يطمحون إليه من مستقبل يضمن لهم العزة والكرامة وصفو الحياة. (قلعجي، المصدر السابق، ص 12)

هكذا كان السيد جمال الدين الأفغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مشعلاً من مشاعل الحرية والمعرفة ينير أينما حل، مهيباً بالجاهلين إلى العلم وبالمتفرقين إلى الاتحاد، وحاتاً المتفاعسين على السعي والمتخاذلين على الجهاد في سبيل حريتهم واستقلال أوطانهم قائلاً أن الحرية والاستقلال لا يوهبان من ظالم ولا يمتحان من مستعمر بل يؤخذان بنضال وقوة واقتدار. (البشري، المرجع السابق، ص 1172).

الخاتمة

من خلال هذا البحث المتواضع يمكن الخروج بالنقاط التالية:

1. شهد القرن العشرون في الربوع العربية إقبال العلماء والمفكرين العرب على تدبير التراث العقلي والفلسفي القديم وإحيائه وتدارسه، بعد انقطاع صلتهم بذلك التراث طوال قرون عدة.
2. ولد جمال الدين الأفغاني في عام 1254هـ - 1838م، في إحدى القرى الأفغانية وعاش حياته متنقلاً من مكان إلى آخر؛ مما أدى ذلك إلى تأثره بما لاحظ كما أنه تربي تربية إسلامية؛ الأمر الذي جعل منه ينطلق من مقدمة كبرى هي صلاحية الإسلام في جوهره والوهن والانحطاط الذي ينعى على الشعوب الإسلامية إلا نتيجة تقاعس المسلمين أنفسهم ودسائس الأجانب ومكائدهم.
3. إن فكرة الجامعة الإسلامية جاءت نتيجة لتردي وفساد أحوال الدولة العثمانية التي تبنت الفكرة عن طريق السلطان عبد الحميد واستطاعت هذه الفكرة أن تحقق نجاحات نتيجة لأن السلطان رأى فيها مخرجاً مما تعانيه الدولة العثمانية من انقسامات، إلا أنها واجهت عدة صعوبات من الدول الأوروبية والدولة العثمانية نفسها مما شكل عقبة في طريق نجاحها.
4. نتيجة للرحلات التي قام بها جمال الدين الأفغاني استطاع صقل نفسه وذلك عن طريق الدراسة والتجارة والسفر حتى أصبح فيلسوفاً لا معاً استطاع أن يجمع من حوله العديد من المؤيدين، كما أوضح العديد من النقاط التي أدت إلى تردي الوضع في الشرق وقدم دعوات إصلاحية في عدة مجالات منها المجال الديني والسياسي؛ كان لها دورها الكبير في تاريخ الفكر العربي والنهوض به واستكمل طريقه عدد من تلاميذه مثل محمد عبده.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أحمد العدوي، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، منشورات مكتبة الشباب، القاهرة، 1990م.
2. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط1، منشورات مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 1979م.
3. إبراهيم بك حلیم، تاريخ الدولة العثمانية العليا، ط1، منشورات مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، 1988م.
4. إسماعيل مظهر، تاريخ الفكر العربي، ط1، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
5. جمال كمال، نوابغ العرب - جمال الدين الأفغاني النافخ في نار الثورة والحضارة الإسلامية - ط1، منشورات دار العودة، بيروت، 1974م.
6. روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، ط1، منشورات دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.
7. طارق البشري، وآخرون، جمال الدين الأفغاني، ط1، منشورات جامعة الخليج العربي، 1988م.
8. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط5، منشورات دار الكتاب العربي، القاهرة، 1990م.
9. عبدالعزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتتة عليها، ط1، منشورات جامعة القاهرة، القاهرة، 1983م.
10. عمر عبدالعزيز، تاريخ المشرق العربي (1516 - 1922م)، ط1، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
11. قدری قلجی، أعلام الحرية - جمال الدين الأفغاني -، ط2، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، 1952م.

12. لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، مكتبة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، مج1، 1352هـ.
13. ماجد فخري، دراسات في الفكر العربي، ط3، منشورات دار النهار للنشر، بيروت، 1982م.
14. محمد سهيل طقوس، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة (1299 - 1924)، ط1، منشورات دار بيروت المحروسة، بيروت، 1995م.
15. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، ط1، منشورات دار الجبل، بيروت، 1977م.
16. محمد ياسين عربي، منهج جمال الدين الأفغاني وجامعة الفكر الإسلامي، مجلة كلية التربية، العدد الثامن، جامعة الفاتح سابقاً، 1977 - 1978م.
17. محمود أبورية، جمال الدين الأفغاني (تاريخه ورسالته ومبادئه)، منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1966م.
18. الهادي الزبيبي، العرب ورسالة القرن السماوية، ط1، منشورات التعااضدية العمالية للنشر والتوزيع، تونس، 1986.